

بسم الله الرحمن الرحيم
خطبة جمعة (حسن الخلق) الواحة

لقد أثنى الله سبحانه وتعالى على نبيه محمد ص فقال { وإنك لعلى خلق عظيم }.

والخلق العظيم الذي أثنى الله به عليه هو أدب القرآن الكريم الذي ظهر في منطقه ص ، وفي مسلكه ، وفي معاملاته للقريب والبعيد ، وفي رفقه بأمرته وإكرامه إياهم ، وفي سعة صدره وحلمه ، وفي سهولة طبعه ، وانبساط وجهه للناس ، وفي إقباله على على محدثه بذوق رفيع وأدب عال ، كما ظهر الخلق العظيم في عفوه عند القدرة ، وفي صلته من قطعه ، وفي تواضعه للفقير والمسكين ، والأرملة واليتيم ، كما ظهر الخلق العظيم في مشاركته ص أهله في مهنتهم ، ورفقه بخدمه ، ومعاونته بنفسه في أعمالهم ... فقد جمع الله عز وجل لنبيه في نفسه العظيمة كل محاسن الآداب ، ومكارم الأخلاق .

ولذا فإن أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) حين سئلت : كيف كان خلق رسول الله ص ؟ قالت : كان خلقه القرآن . ولما سألها ابن أختها عن خلقه ص . قالت له : أما تقرأ سورة المؤمنون ؟ قال : بلى . قالت اقرأ . فقرأ : بسم الله الرحمن الرحيم : { قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون ، والذين هم عن اللغو معرضون ، والذين هم للزكاة فاعلون ، والذين هم لفروجهم حافظون ، إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين ، فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون ، والذين هم لأمانتهم وعهدهم راعون ، والذين هم على صلاتهم يحافظون ، أولئك هم الوارثون } .

فلما وصل هذه الآية قالت له عائشة : هكذا كان خلق الرسول ص . وفي هذه الآيات تشويق للمؤمنين الصالحين ، الصادقين للتخلي بعظيم الفضائل التي تسعد المؤمنين في حياتهم الدنيوية ، وتهيء لهم السعادة الأخروية ، فمن أقام هذه الفضائل وحققها لنفسه فاز ونجا ، فقد تضمنت الآيات تشويقاً للمؤمنين للخوف من الله وخشيته ، وذلك بطاعته ، والخشوع والخضوع والتذلل بين يديه ، كما شوقت إلى عفة اللسان ، وجديته ، فلا ينطلق إلا بخير ولا يقول إلا حقاً وحسناً . وإلى

السخاء والجود وبذل المال في وجوه الخير ، كما حثت على العفة وحفظ الفروج من المحارم ، وعلى الوقوف عند حدود الله في الحلال والحرام ، وأعلنت الآيات أيضاً من شأن الأمانة بحفظها ورعايتها ، ومن شأن العهود والمواثيق وضرورة رعايتها والوفاء بها ، كما أكدت فضل الصلاة ولزوم المحافظة عليها ، بأدائها في أوقاتها والمداومة عليها .

عباد الله : إن المتدبر لهذه الآيات من سورة المؤمنون يرى أنها جمعت خيري الدنيا والآخرة ، وما أحوجنا إلى مكارم الأخلاق ، ومحاسن الآداب ، فهي زينة المؤمن ودليل على حسن الإيمان ، وأكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقاً . وأكمل الناس في هذا الجانب رسول الله ص .

كما ورد الأمر بالأخلاق الفاضلة في آيات عديدة من كتاب الله سبحانه وتعالى ، كما في قوله سبحانه { خذ العفو وأمر بالعرف ، وأعرض عن الجاهلين } . هذه الآية الكريمة موجزة اللفظ ، ولكنها عظيمة النعنى ، سامية في مراميها ، وما اشتملت عليه من آداب وفضائل .

عباد الله : إن سعادة الفرد والمجتمع مقترنة بحسن الخلق ، وإن الشقاء إنما يكون إذا ساء الخلق ، لذا فقد بنى الإسلام للأخلاق الكريمة ، الصرح العالي ، وجعل الأخلاق الكريمة من أسباب رحمة الله للمؤمن ، وقربه من حبيبه المصطفى ص كما في الحديث : « ما من شيء أثقل في ميزان العبد يوم القيامة من حسن الخلق ، وإن الله تعالى يبغض الفاحش البذي » وسئل رسول الله ص عن أكثر ما يدخل الناس الجنة قال : تقوى الله وحسن الخلق .

ومن حسن الخلق الكرم والسخاء والبشر وطلاقة الوجه ، وكف الأذى ، والاحتمال ما يكون من الناس ، وكظم الغيظ لله . ولين القول ، وكل عمل من أعمال المروءة .

جاء رجل يسأل رسول الله ص أن يعلمه شيئاً ينفعه الله به ، فقال له : « اتق الله ، وتحقرن من المعروف شيئاً ، وأن تلقى أخاك بوجه منبسط طلق ، وأن تفرغ من دلوك في إناء المستسقي ، وإن امرؤ سبك بما لا يعلم منك فلا تسبه بما تعلم فيه ، فإن الله جاعل لك أجراً ، وعليه وزراً ، ولا تسبن شيئاً مما خولك الله تعالى » .

قال الرجل فوالذي نفسي بيده ما سببت شاة ولا بعيراً ، نسأل الله عز وجل أن يرزقنا حسن الخلق ، واتقوا الله عباد الله وسلوه من فضله ، فإن الله يحب أن يسأل ، وتوبوا إليه توبة نصوحاً ، فالتائب من الذنب كمن لا ذنب له .